ISSN: 1817-6798 (Print)
Journal of Tikrit University for Humanities
available online at: www.jtuh.org/

# Philosophy of Death in Al-Jawahiri's Elegies

**Hossam Saadi Abdul Razzaq Al-Ani**

Anbar University / College of Education Al-Qaim

**Nidaa Thabet Radi Al-Dulaimi**

Anbar University/Al-Qaim College of Education

* *Corresponding author: E-mail* :
nada.thabit@uoanbar.edu.iq
**07860713717**

***Keywords***:
Philosophy
Death
Elegies
Jawahery

A R T I C L E I N F O

***Article history:***
Received 1 Sept 2024
Received in revised form 25 Nov 2024
Accepted 2 Dec 2024
Final Proofreading 2 Mar 2025
Available online 3 Mar 2025
*E-mail* t-jtuh@tu.edu.iq

©THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE
http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

A B S T R A C T

The philosophy of death has been a subject of contemplation since ancient times. Death represents the most profound challenge for the soul, particularly for sensitive poets. Death is an unavoidable reality, a constant challenge faced by humanity throughout history, and it represents a truth from which there is no escape. This theme is evident in the earliest human texts, where individuals sought to alleviate the primal fear of the inevitable end through their relentless pursuit of immortality, often referred to in ancient times as the elixir of life. This theme is clearly recognized in Al-Jawahri's poetry who is influenced by his relatives' and friends' death. This, as a matter of fact, gives his poetry a melancholic mood reflected by different means of representation.

DOI: http://doi.org/10.25130/jtuh.32.3.1.2025.05

Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities Journal of Tikrit University for Humanities

## فلسفة الموت في رثائيات الجواهري

**حسام سعدي عبد الرزاق العاني/ جامعة الانبار/ كلية التربية القائم**

**نداء ثابت راضي الدليمي/ جامعة الانبار/ كلية التربية القائم**

**الخلاصة:**

الأدب العربي سلك مسالك شتى في معالجة الموت والنظر إليه، والتأمل فيه كذلك، فالأدب لم يخلُ من نظرة فلسفية أو لوحة فنية شديدة الإغراق والتصوير لمسألة الموت، نجد الأدباء والشعراء قد

أتخذوا من الموت صورة حيّة ليعبروا عن آلامهم وأحزانهم بفراق أحبائهم وأصحابهم.

فلسفة الموت موجودة منذ الازل البعيد فالموت هو التجربة الأقسى على النفس، وهي أشد قسوة على نفس شاعرٍ مرهفٍ كالجواهري يدرك حقيقة المعاني والألفاظ، فالموت قادم لا محالة وهو مصيبة الإنسان على مر الأزمان، وهو الحقيقة التي لا مفر منها، يواجه الإنسان لامحالة شابًا كان أم شيخاً كبيراً، يحيط بنا في كل حين.

إن فكرة الموت في الإبداع البشري سواء أكان أدباً أم فلسفةً أم فناً من الفنون الأخرى، هي فكرة قديمة قدم الإنسان؛ إذ نجد هذه الفكرة ثاويةً في أول نص إنساني سعى فيه الإنسان للتخلص من أول ربقة الخوف من النهاية الحتمية، من خلال بحثه الدؤوب عن نبتة الخلود، أو ما تعارف عليه قديماً بإكسير الحياة.

الحديث عن الموت في مجال الإبداع سواء أكان (فلسفةً أم أدبا) فهو أشبه ما يكون حديثاً عن شمس أشرقت في مكان ما ثم غربت فأشرقت في مكان آخر، فالموت عبارة عن حضور وغياب، غياب هنا وحضور هناك.

ظهرت ملامح الموت واضحة في أبيات شاعرنا الجواهري، وهذا دليل على أن هذه الفكرة قد أخذت منه مآخذا كثيرة فكانت حياته تحمل آلام وأحزان دفعت به إلى ترجمة احاسيسه إلى هذه الصور الشعرية التي اتخذت من ظاهرة الموت منهلا يغرف منه الشاعر صوره، فإن موت الأحبة والأصدقاء قد ترك في نفسه وشعره أثرا بليغاً انعكس في شعره الحزين الذي هو مادة دراستنا هذه.

**الكلمات المفتاحية: فلسفة، الموت، رثائيات، الجواهري**

**المقدمة**

الحمد لله الذي علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على من بعثه الله للمسلمين، وخاتم النبيين محمد (صلى الله عليه وآله وسلم).

إن ظاهرة الموت لا تزال تشغل بال كل إنسان وهذا اللغز الذي حيّر الادباء والشعراء والفلاسفة والعلماء، القدماء والمحدثين عبر ومختلف العصور، ودارت حوله الكثير من الأساطير ونسجت عنه الخرافات والحكايات الفناء والنهاية والختام والوداع ... إلخ

إن هذه التسميات لا تفي بالغرض للتعبير عن ظاهرة الموت ولا تزيل الغموض ولا تشفي الغليل ولا تحل رموز القضية، وقد وقع اختياري على شاعر عاش ظاهرة الموت وهو أحد رواد الحداثة الشعرية في الأدب العربي المعاصر ألا وهو شاعر العرب الأكبر (محمد مهدي الجواهري).

من الملاحظ إن حياة الجواهري كان لها تأثير واضح وجلي في مسيرته الأدبية فتنوعت الأغراض الشعرية التي تناولها، ومنها غرض الرثاء إذ شغل أغلب شعره كما لمسيرته السياسية التي أودت به إلى

المنفى والابتعاد عن الوطن، ومفارقته الأهل والخلان دور كبير في ترك بصمة واضحة في نفس الشاعر الحزينة وقصائده.

الجواهري أكد مرارا وتكرارا بأن من يتخذ طريق المقاومة منهجا له يجب عليه أن يكون مستعد للمواجهة والتضحية في أية لحظة فقال: "وفي الواقع لم أتحمل كل ما تحملت وعانيت ما عانيت إلا إيماناً بأن من يسير على درب المواجهة أو المقاومة عليه البقاء وجها لوجه حتى أمام الموت وإلا فكيف يكون الصامد" (الجواهري م.، 1991).

أما منهجية البحث فتناولنا فيها مفهوم فلسفة الموت وأثر الرهبة التي يتركها في الإنسان بمجرد التفكير به، إضافة إلى أن الموت تتبعه حياة أخرى، وما ذكرته الأساطير من صراع دائم بين الخير والشر، وتناولنا لفظة الموت في المعاجم، ومن بعدها فلسفة الموت عند الجواهري وكيف كان لهذه الفلسفة أثر كبير على مسيرة حياته ونفسيته التي ظهرت بصورة جلية في أشعاره، وتناولنا الرثاء عند النقاد القدماء والمحدثين، ومعرفة ماهيته بالإضافة إلى تعريفه لغةً واصطلاحا.

كما ذكرنا صور الرثاء عند الجواهري وما سطّر من قصائد في هذا الغرض تعد من أروع القصائد الشعرية التي تركت في نفسه أثرا بالغا لما مر به من أحزان وفواجع وفقد لأهله ومحبيه، وكذلك احتوى المبحث الثاني على مطلبين أيضًا، أما المطلب الأول وذكرنا صورة الأخ الشهيد وكيف كانت لهذه الروح القريبة من الشاعر من أثر ترك جرحا عميقا في مسيرته الأدبية، وكان لزوجته نصيب أيضا من فواجعه وأحزانه التي مر بها ولما تركته فلسفة الموت في حياة الجواهري، وأيضا تطرقنا لرثاء أمه (فاطمة) التي كان لها أثرا واضحا في أشعاره.

## مفهوم فلسفة الموت

لم يرهب خيال الإنسان شيء كما ارهبته فكرة الموت، ولم يثر عقله من أفكاره كفكرة انعدام العقل ذاته، فما الذي ستكون عليه الحال عندما يمضي إلى النوم ولا يفيق أبدًا، وكيف كانت حاله قبل أن يحل ضيفًا على هذا العالم من هنا كانت دورة الحياة والموت والبعث هي الفكرة المحورية في الدين والاسطورة، الفكرة التي يتمركز حولها لا شعور الفرد في الماضي والحاضر (السواح، 1996)

وبدراسة ما أنتجه فكر الإنسان عبر العصور، نجد أن الموت لم يكن أبداً مرحلة نهائية من شأنها وضع حد لوجود الفرد بجميع صوره، بل اعتبره دوما بمثابة عملية تؤمن عبوره لحالة أخرى عن الوجود، تختلف– في كليتها– عن الحالة التي ألفها في حياته على الأرض.

وتشمل جميع الاساطير – المتماثلة في تراث الشعوب– على وجود رؤية تختزلها جميعًا، تحت مبدأ الصراع الأزلي بين الخير والشر، فالهدف ظل دائمًا حفظ الحياة وصيانتها، وإبعاد الموت الأذى عنها.

فالخير هو الحياة والنماء والخصب والطمأنينة والسعادة والشمس المشرقة، والشر هو الموت والدمار

والجفاف والخوف والظلام. ولا يخرج مفهوم النعيم والجحيم، كما طرحته الأديان السماوية، من نطاق دلالة ميتافيزيقية عليا، لحدي الحياة والموت (منصور، 1987).

فالمعنى اللغوي في معاجم اللسان العربي يشير إلى التعريف بهذه اللفظة، ففي لسان العرب: "الموت خلق من خلق الله تعالى، غيره: الموت والموتان ضد الحياة، والموات بالضم: الموت، مات يموت موتا" (ابن منظور، لسان العرب، 2003) هذا بالنسبة للتركيب الصرفي للفظة الموت، ثم بعد ذلك يأتي الحديث عن مفهوم الموت، بقوله: "الموت السكون، وكل ما سكن فقد مات، وهو على المثل" (ابن منظور، لسان العرب، 2003)، وفي القاموس المحيط: "ماتَ يَموتُ ويَماتُ ويَميتُ، فهو مَيْتٌ ومَيّتٌ: ضدُّ حَيَّ" (آبادي، 2005).

فالموت "هو عدم اتصاف الجسم بالحياة سواء كان متصفا بها من قبل كما هو الإطلاق المشهور في العرف أم لم يكن متصفا بها إذا كان من شأنه أن يتصف بها، والحياة ضد الموت وهي في نظر الشرع نفخ الروح في الجسم وقد تعسر تعريف الحياة أو تعريف دوامها على الفلاسفة المتقدمين والمتأخرين تعريفا حقيقيا بالحد، وأوضح تعاريفها أنها قوة ينشأ عنها الحس والحركة" (ابن عاشور، 1997).

إن الإنسان الباحث في الفكر الغربي استطاع أن يكتشف حتمية الموت حين تجاوز العقلية البدائية، ونشأ التفكير المنطقي، إن هذا التفكير هو الذي سمح للإنسان أن يصل من الأحداث العديدة التي يلاحظها إلى قاعدة عامة وإلى قانون نصه أن البشر جميعا وقد تصدى المفكر المعاصر لهذه النظرية التي يقول بها (بول لوي لاندسبيرج 1901–1944)، وتنص إلى أن الإنسان يصل إلى معرفة الموت من خلال تجربة خاصة بموت شخص لصيق بنا. "وعلى أية حال فإن المعرفة بحتمية الموت قد غدت –شيئا فشيئا – ملكية مشتركة للإنسانية ومن ثم فلا يمكن النظر اليها بوصفها اكتشافا جاء كالحادث الفجائي" (جاك، 1984).

**فلسفة الموت عند الجواهري**

ظاهرة الموت اوجدت اسئلة محيرة لدى الإنسان منذ القدم ، فحاول الإجابة عنها، وتفسير هذه الظاهرة، وربطها بظواهر طبيعية تلتقي معها في نفس الطريق المشترك ألا وهو الفناء، فالإنسان يرى إن "الموت فعل فيه قضاء على كل فعل وإنه نهاية كلية للحياة، فقد تكون هذه النهاية بمعنى انتهاء الامكانيات، وبلوغها حدّ النضوج والكمال، كما يقال عن ثمرة من الثمار انها بلغت نهايتها، بمعنى تمام نضجها، واستفاد نت امكانية نموها، وقد تكون هذه النهاية بمعنى وقف الامكانيات عند الحد ، وقطعها عند درجة مع بقاء كثير من الامكانيات غير متحقق بعد فيكون الموت بذلك حالة من حالات الحياة" (عبد الرحمن، 1962).

إن الشاعر هو المرآة العاكسة لمعاناة شعبه ووطنه فلم يهدأ بال، ولم يقر له قرار وهو يرى أبناء

شعبه يعودون إلى المربع الأول مربع الألم والمعاناة فيقول: "كيف لا والمتحكمون والمأجورون والخونة والمرتزقون...موزعون هنا وهناك على خارطة الأحداث ... من هذا الواقع ...بدأ حصار الإعلام الرسمي والحزبي والصحفي عليه في عهد عبد الكريم قاسم ولنقل من السنة الثانية من حكمه" (الجواهري م.، 1991، صفحة ج256/2).

يخرج الجواهري في شعر الحزين بين حنينه للمكان والأهل وبين الألم والعنف، إذ تأججت مشاعر الحنين في نفس الجواهري بعد اغترابه رغم أنفه عن وطنه، إذ سافر إلى إيران وأمضى مدة طويلة من الزمن عام (1924)، مما أثار فيه الشوق والحنين إلى وطنه الأم (الاعرجي، 2003).

إن الاستبدال المكان لم يوهن من سلطان حب الوطن في نفس الجواهري ولم يخمد حنينه وشوقه لوطنه الذي رسمه بقلبه، إذ كان حب الوطن ينبض في قلب الجواهري حيث ينتقل جسده وعلى هذا فلم يشكل البلد الذي نزح إليه بديلا عن بلده التي نزح عنها (الجواهري خ.).

لقد بقي الجواهري على هذه الحالة بعد انتقاله الى براغ الجميلة، والتي بالرغم من جمالها لم تمسح جراح الغربة في قلب الجواهري برائعته الحزينة المليئة شوقا والمتقدة جمرا لوطنه ، والتي كان عنوانها (بريد الغربة) التي جسدت اليأس والملل الذي ملأ نفسه بسبب طول مسيرة حياته الطافحة بالآلام والأحزان، وعلى الرغم من وصف الجواهري ل (براغ) بأنها أجمل بلد ارتحلت اليه نفسه، إلا أنه بقي يصارع لوعة التغرب، ويكتوي بنار التشرد والحنين إلى وطنه وأخوانه وأحبائه ، فتراه يبكي على شبابه الضائع وعلى فراق أحبته وأصحابه الذين ظل يتمنى لقاءهم فالدنيا لا تعني له شيئا مقابل أمله بالعودة اليهم (الجواهري خ.، صفحة 66).

**الرثاء قديمًا وحديثًا**

**الرثاء لغة:**

من خلال قراءتنا في المعاجم اللغوية نجد أن كلمة الرثاء تتألف من ثلاثة أصول:

الأصل الأول: "رثا" بالهمزة يرثا رثيئة، والرثيئة من اللبن، ورثأت اللبن خلطته ((يقال رثأ اللبن؛ خثرُ والاسم الرثيئة، قالوا في أمثالهم "إنّ الرثيئة تفتأ الغضب" وهي اللبن الحامض، أرتثأ عليهم أمرهم إذا اختلط" (الزمخشري، 1996).

**الرثاء اصطلاحا:**

قال ابن منظور: "رثى فلان فلاناً يرثيه رثيا ومرثية، إذا بكاه بعد موته، قال فإن مدحه بعد موته قبل رثاه يرثيه، ترثيه، ورثيت الميت رثيا ورثاء ومرثاه ومرثية، ورثيته: مدحته بعد الموت وبكيته ورثوت الموت أيضا إذا بكيته وعدد محاسنه، وكذلك انضمت فيه شعراً" (ابن منظور، لسان العرب، 2003، الصفحات ج6/99-100). وينظر (الجوهري، 2009)

الرثاء من أغراض الشعر الغنائي، وذلك لارتباطه الوثيق بالعاطفة والوجدان، فيبدو فيه الحزن والتعبير عن مشاعر الأسى والفجيعة وهو الجانب المهم فيه، فقد يذكر الشاعر غرض الرثاء ولكن دون أن يعد محاسن المرثي، ولكن مرثيته لا تستقيم دون عواطف الحزن ومشاعر الألم، ونلاحظ ذلك في قول ابن رشيق: "وعلى الجزع يبنى الرثاء" (القيرواني، 2001، صفحة ج171/2).

النقاد العرب القدامى يرون في الرثاء المديح، باعتبار أن الشاعر الراثي هو الذي يعدد مناقب المرثي (الميت)، والتي تدعو الإنسان للبكاء عليه، لأنه بفقده للميت، يفقد المناقب والحسنات، ونرى أن ابن رشيق يقول: "وليس بين الرثاء والمديح فرق, إلّا أن يخلط بالرثاء شيء, يدل على أنّ المقصود به ميت، مثل (كان) أو (عدمنا به لميت)، أو ما يشاكل هذا ليعلم أنه ميت, وسبيل الرثاء أن يكون ظاهر التفجع بين الحسرة مخلوطا بالتلهف والاستعظام" (القيرواني، 2001، صفحة ج166/2).

إن غرض الرثاء كما هو متعارف عليه يعبر فيه الشاعر عن مكنونات نفسه من خلال التجارب التي مر بها ومنها الخوف والأسى والتفجع لفقدان ما هو عزيز ومحبب على النفس، وللرثاء صور وألوان شتى منها الندب، وهو بكاء الأهل والأقارب والأصحاب، عندما يعصف بهم الموت ويمكننا القول: "هو النواح والبكاء على الميت، بالعبارات الشجيّة والألفاظ الحزينة، التي تصدع القلوب القاسية، وتذيب العيون الجامدة" (شوقي، 1955)، وذلك أن الرثاء يبنى على الخوف والبكاء والحزن والتفجع.

اما الرثاء حديثا فيقول الدكتور عمر فاروق الطباع في تعريفه للرثاء: "... والرثاء هذا هو التعبير بالذات: التفجع على الميت، وبكاء فضائله، وتصوير مشاعر الوجدان حيال حادثة الموت، ولا رأي ثان هذا اللون من العاطفة، قد ارتقى خلال الأعصر، وعبر الأجيال الإنسانية، حتى استوى فنا من الفنون الغنائية" (الطباع، 1996).

ونعلم في حقيقة الأمر أن الرثاء يدور حول الإنسان بحد ذاته، فالشاعر إن لم يرثِ نفسه فهو يرثي إنسانا فقده، سواء كان ابنًا أو أخًا أو زوجًا.

إن اطار الرثاء هو أن يأتي الموت على أحد الناس، ومعانيه هي الأحزان والفجيعة والفقد، والبكاء مع ذكر صفات الميت، ومن ثُمَّ يأتي بعد ذلك التأمل في هذا الوجود، عبر حياة الأنسان الزائلة، كما نلاحظه في قول إيمل ناصيف: "الرثاء فن من فنون الشعر الغنائي، يعبّر فيه الشاعر عن حزنه وتفجعه لفقدان حبيب، وهو يتلون بألوان مختلفة تبعا للطبيعة والمزاج والموقف، فإذا غلب عليه تسجيل الخصال الحميدة، التي تمتع بها الفقيد في حياته، كان تأبينًا، وإذا غلب عليه التأمل في حقيقة الموت والحياة كان عزاءا، وقد يجتمع الندب والتأبين والعزاء في القصيدة الواحدة، والرثاء يقترن بالموت..." (إيميل، أروع ما قيل في الرثاء، 1996)

**صور الرثاء عند الجواهري**

الجواهري شاعر ذو عطاء كبير جدا امتد لفترة طويلة من الزمن، عرف بمواقفة الانسانية ومشاركته الوجدانية لأبناء مجتمعه في معظم قضاياهم سيما القضايا السياسية والاجتماعية، ولذلك عند موت أحد الشخصيات السياسية أو الثقافية أو الاجتماعية يثريه بألفاظ مصورة في ضوئها خسارة الأمة لفقد مثل تلك الشخصيات، وإن الظروف التي مرّ بها شاعرنا أثرت على نفسية الشاعر، وكيف أدّت به إلى تسجيلها في مراثيه فكانت تلك المراثي سجلا حافلا بأبرز الأحداث الاجتماعية والسياسية آنذاك، فضلا عن ما تميز به الجواهري من طاقة شعرية فذة وروح إنسانية عالية.

إن النصوص الشعرية التي اخترناها في بحثنا هذا بينت لنا مدى الحزن والأسى الذي تركه رحيل من رثاه، وكذلك تصوير الخسارة الكبرى لفقدهم، وكيف كان لفقدهم الأثر العميق على نفسيته.

**الصورة الأولى (الأخ الشهيد)**

وهذه الصورة تتجسد على الصعيد الشخصي للجواهري في شقيقه (جعفر) الذي استشهد في وثبة كانون عام 1948م ضد (معاهدة بور تس موث) التي كانت تستهدف خيرات العراق، وتخدم المستعمر البريطاني، فوقعت معركة الجسر –على أثر الاحتجاجات الشعبية –التي حفرت في أعماق الشاعر جرحا لا يبرأ، استقال بسببه من المجلس النيابي، واستعذب بعدها الحديث عن نموذج البطل الثائر الشهيد الذي مات من أجل حقوق شعبه، ومن أجل كرامة وطنه، لكنه بدأ بقصيدة (قف بأجداث الضحايا)، فقدم بطولة الجماعة على الفرد، وقال: (الجواهري م.، الأعمال الشعرية الكاملة، 2001).

قـــف بأجـــداث الضـــحايا لا تســـل فوقهـــا دمعـــا ولا تبـــكِ ارتجـــالا

لا تـــذل عهـــد الرجـــولات التـــي تكـــره الضـــعف وتـــأبى الانحـــلالا

وتلقـــف مـــن ثراهـــا شـــمة تمـــلأ الـــم نخـــر عـــزة وجاهـــا

وفي قصيدة (أخي جعفر) التي القاها في حفل كبير مساء14 شباط 1948، بعد مرور سبعة أيام على استشهاده، التفت إلى حزنه الخاص، ومهّد له بمقدمة نثرية وكأن (الفقد) لا يقدر على وصفه جنس أدبي واحد فجاءت كلمة (أحب أخي جعفر أن أخبرك) ينظر: (الجواهري م.، الأعمال الشعرية الكاملة، 2001، الصفحات ج3/255–257)' ثم بدأ بتحية البطل الشهيد: (الجواهري م.، الأعمال الشعرية الكاملة، 2001، صفحة ج3/486).

اتعلـــــم ام انـــــت لا تعلـــــم بـــــأن جـــــراح الضـــــحايا فـــــم

فـــــمّ لـــــيس كالمـــــدعي قولـــــه ولـــــيس كـــــآخر يســـــترحم

يصـــيح علـــى المـــدقعين الجيـــاع أريقـــوا دمـــاءكم تطعمـــوا

ويهتـــــــف بـــــــالنفر المهطعـــــــين اهينـــــــوا لئـــــــامكم تكرمـــــــوا

وجد الشاعر فرصة للتعبير عن إحساسه بالفقد، ففقد جعفر بطله الخاص، لم يمنعه من تقديم الشهداء والبطولة الفردية، هناك يظهر إحساسه الصادق بالجماعة، وهنا يتحسس ألمه وفجيعته بأخيه، ومع ذلك لا يفصله عن ضحايا تلك المعركة، يخاطب وهو أحدهم، يخاطب خطاب الحي ولا يرضى بأن يحل ضمير الغائب مكان المخاطب؛ لأنه لا يريد تصديق خبر موته، ولأنه في حقيقة الأمر حي يرزق عند ربه، وهذه الحقيقة يؤمن به كل مسلم، من أكثر الصور ورودا عند الشعراء عند رثاء الشهداء، ويؤكد الجواهري قوله: (الجواهري م.، الأعمال الشعرية الكاملة، 2001، صفحة ج264/3)

يقولـــــون مـــــت وعنـــــد الأســـــا ة غيـــــر الـــــذي زعمـــــوا مـــــزعم

وأنـــــت معـــــافى كمـــــا نرتجـــــي وأنـــــت عزيـــــز كمـــــا تعلـــــم

وتكمن فلسفته في صراع إيمانه القلبي والعقلي فتارة في أبياته الأولى يرثي أخيه مدركا حقيقة ظاهرة ما بعد الموت مقر بها، وتارة في أبياته الأخرى يناقض هذه الفلسفة غير مقر بها، فتظهر عليه ملامح اليأس فيعارض حقيقة الموت غير مقر بها خاضعا لفكرة أن الظلام لا يأتي بعده نور، غاب أخوه وغاب شهداء الوثبة ولم ينجلي بعد الموت حياة، يقول: (الجواهري م.، الأعمال الشعرية الكاملة، 2001، صفحة ج264/3)

وتـــــزعم أنـــــك تـــــأتي الصـــــباح وقـــــد كـــــذّب القبـــــر مـــــا تـــــزعم

**الصورة الثانية (زوجته)**

قصيدة (ناجيت قبرك) تعد من القصائد الرائعة في الرثاء التي كتبها الشاعر محمد مهدي الجواهري في رثاء زوجته، يقول فيها: (الجواهري م.، الأعمال الشعرية الكاملة، 2001، صفحة ج352/2)

مُـــــدّي إلـــــيَّ يَـــــدًا إليـــــك يـــــدُ لابَـــدَّ فـــي العـــيشِ أو فـــي المـــوتِ نتَّحِـــدُ

ناجيـــــتُ قبـــــركِ اســـــتوحي غياهبـــــهُ عـــنْ حـــالِ ضـــيف عليـــه مُعجـــلاً يفـــدُ

فالجواهري هنا يخاطب زوجته فيقول لها إما تأخذيني إليكِ وإلى الموت وإما تعالي إلى الحياة فنحن شخصان لا تفرق بيننا الحياة والموت، ثُمَّ يتابع قوله مخاطبا إياها إنني وقفت على قبركِ أسأله وأناجيه عن حال ضيفته الجديدة التي أتته وهي في ريعان شبابها، وهو يقصد بذلك أن زوجته قد ماتت ودفنت وهي شابة، ويستمر في قصيدته برثاء أحبابه الذين رحلوا عنه، فيقول: (الجواهري م.، الأعمال الشعرية الكاملة، 2001، صفحة ج351/2)

فـــي ذمـــةِ اللهِ مـــا ألقـــى ومـــا أجـــد أهـــــذه صـــــخرة أم هـــــذه كبـــــد

قـــد يقتـــل الحـــزن بمـــن أحبابـــه بعـــدوا عنـــه فكيـــف بمـــن أحبابـــه فقـــدوا

تجـــري علـــى رســـلها الـــدنيا ويتبعهـــا رأي بتعليـــــل مجراهـــــا ومتقـــــدُ

يقول الجواهري في هذه القصيدة انني اترك في ذمة الله ما لاقيته من هذا الدنيا، ثُمّ ينصرف للحديث عن كبده التي تلقى ما تلقى وهل هي لحم ودم أم هي صخرة، ثُمَّ يقول الجواهري ممهدا للرثاء، إن من يبتعد عنه أحبابه عادةً يحزن عليهم حزنا شديدا فكيف بمن مات أحبابه فيقول: (الجواهري م.، الأعمال الشعرية الكاملة، 2001، صفحة ج351/2)

أعيـــا الفلاســـفة الأحـــرار جهلهـــم مـــاذا يخبـــي لهـــم فـــي دفتيـــه غـــد

طـــال التحمـــل واعتاصـــت حلـــولهم ولا تـــزال علـــى مـــا كانـــت العقـــد

يجادل هنا الجواهري الفلاسفة وجهودهم في تفسير ظاهرة الموت ومحاولتهم في تحليل كيفية الحياة والخلود والموت مشيرا إلى أنهم مهما حاولوا فإنهم لا يقدرون على فهمها، وذكر في أبياته لرثاء زوجته عن حقيقة الموت الثابتة وأنهم مهما حاولوا سيعودون إلى الإيمان الغيبي بالله دون فرضيات فلسفية أو آراء العلماء والشعراء فيها متمثلا في قوله: (الجواهري م.، الأعمال الشعرية الكاملة، 2001، صفحة ج88/3)

إنَّـا إلـى الله قـول يسـتريح بـه ويستوي فيه من دانوا ومن جحدوا

وله أبيات أيضًا يذكر فيها فلسفة الموت خاضعا لها مستوقفا على تساؤلات كثيرة عاجزا عن الإجابة عنها يقول: (الجواهري م.، الأعمال الشعرية الكاملة، 2001، صفحة ج349/5)

للمـــــوت فلســـــفة وقـــــف ازاءهـــــا متخشـــــعا وبـــــرغم انفـــــي اخشـــــع

أيمـــــوت شـــــهم تســـــتظل بخيـــــره دنيـــــا، ويبقـــــى خـــــاملا لا ينفـــــع

إن الانسجام في أبيات قصيدة (ناجيت قبرك) بين تفكير الشاعر وحقيقة الموت الوجودية وتناسق أفكاره واتفاقها على أن ظاهرة الموت لاحول لها غير الإقرار بمشيئة الله جاء متناقضا مع أبياته التي ذكر بها (فلسفة الموت) مسترسلا أفكاره مقيد اليدين حولها مستوقفا على فلسفتها وغايتها تاركا سؤالا تهكميا لماذا الموت يأخذ الأنفع والأفضل ويبقي من لا دور له ولا نفع!

وكان الدافع النفسي الذي مر به الجواهري وتجاربه مع الموت وفقد أحبابه أثر في عدم تقبل فكرة الموت، أما في رثاء زوجته الثانية(أمونه) فله قصيدة تعد من جيد قصائده لما حفلت به من صورة ناطقة وتعابير موحية للحزن والفقدان فقد استطاع الشاعر من خلال هذه الأبيات أن يبدع في تصوير مأساة الفقد لشريكة

حياته المخلصة وأم أولاده الحانية التي خطفتها يد المنون بعد أن كانت له هذه الزوجة هي الملاذ الآمن وتعينه على الزمان إذا أشتد عليه فأنه يرثيها بدموع ساخنة ملتهبة راجيا موته قبل موتها الذي هو أرحم عليه، فيقول: (الجواهري م.، الأعمال الشعرية الكاملة، 2001، صفحة ج349/5)

هـــا نحـــن أمونـــه ننـــأى ونفتـــرق  والليـــل يمكـــث والتســـهيد والحـــرق

والصـــبح يمكـــث لا وجـــه يصـــبحني  بـــه ولا بســـمات منـــك تنطلـــق

مـــا أروح المـــوت بـــل مـــا كـــان أبغضـــه  لـــديّ إذ أنـــت الـــروح والرمـــق

يعد الجواهري بعد هذا الرثاء من طلائع شعراء العرب المبدعين في رثاء الزوجات في العصر الحديث، وذلك لما أوتي من سعة وصدق وتفصيل وواقعية متفاعلة مع الحدث خالقاً "شعراً غنائياً جديداً بعيداً عن المحاكاة والتقليد" (عناد، 1974، صفحة 84) فهو بهذا الرثاء يحرك المشاعر ويلهب العواطف في نفس سامعيه ومتلقيه مما جعل هذا الشعر أن يكون "مرثاة غزلية تمتاز بروحها المادي والحسي والمعنوي وفي نظرتها إلى الموت والحب" (عناد، 1974، صفحة 77).

**الصورة الثالثة رثاء والدته(فاطمة):**

موت الأم هو لون من ألوان مآسي الجواهري التي عاشها في ظل الحسرة والفقدان، مُخلدًا أمه الميتة في ذاكرته ونفسه، لتبقى حيّة في ضميره ووجدانه وأشعاره، باعتبار أنها فوق الغياب.

لقد أطلق الشاعر وصف (قفص العظام) عام 1951م على والدته فاطمة بنت الشيخ الشريف الجواهري، وهو يودعها مغتربا إلى مصر، فكانت محتسبة الصبر، ضعيفة البنية، مفجوعة بمصرع ابنها الأصغر جعفر شهيدًا، وجاء ذلك الوصف في البيت الأول من قصيدته إذ يقول: (الجواهري م.، الأعمال الشعرية الكاملة، 2001، صفحة ج615/4)

تعـــالى المجـــد يـــا قفـــص العظـــام  وبـــورك فـــي رحيلـــك والمقـــام

وبـــورك ذلـــك العـــش المضـــوي  بوحشـــته... وبالغصـــص الـــدوامي

تعـــالى المجـــد يـــا أم الرزايـــا  تمخـــض عـــن جبـــابرة ضـــخام

تملّـــى القبـــر منهـــا أي عطـــر  ووجـــه الأرض أي فتـــى همـــام

وهبـــت بـــالثروة الكبـــرى دمـــاء  وروحـــا وارتكنـــت إلـــى حطـــام

نرى الشاعر هنا يدعو والدته بـ (أم الرزايا) وذلك لما مرَّ بها من مصائب وما تحملته من محن وما انتابها من آلام وحرق حتى وهن الجسم ومنا واستحال إلى (قفص من عظام) ويذكر الشاعر والدته حين سمعت بخبر وفاة فلذة كبدها (جعفر) وذلك بقوله: "إنّ والدة الشهيد جعفر وهي المتعبدة المؤمنة بالله والقدر

المحبة لابنها كثيرا... اكتفت بضربة أو ضربتين على ركبتيها... ومن يومها وحتى يومها الأخير وهذه الوالدة الطاهرة ظلت تفترش الأرض وتنام على سجادة الصلاة وكأنها تريد أن ينطبق واقع حالها على الأمر الواقع أي تنام على الأرض التي يرقد بها قريبا من سطحها جعفر مهما يكن من أمر" (الجواهري م.، ذكرياتي، 1991، الصفحات ج1/29-30)

استطاع الجواهري أن يبرع في هذا الخطاب المأساوي المؤثر الذي طغى عليه الحزن واطياف الحياة التي عاشها بين جنبات هذه الأم الوقور.

إن الجواهري لم يرثِ والدته في قصيدة خاصة، ولكن نلاحظ أنه استذكرها، مع أخيه جعفر، في قصيدته الرائعة (يا دجلة الخير) عام 1962م أي بعد رحيلها بنحو عام، وقد توفيت في مدينة النجف بالعراق، عندما كان مغتربا عنها في براغ، قال لهما مخاطبا وشاهرا حزنه المخبأ، بقوله: (الجواهري م.، الأعمال الشعرية الكاملة، 2001، الصفحات ج5/106-107)

ويـــا ضـــجيعي كـــرى أعمـــى يلفهمـــا ... لـــف الحبيبـــين فـــي مطمـــورة دون

حســـبي وحســـبكما مـــن فرقـــةٍ جـــوى ... بلاعـــجٍ ضـــرمٍ كـــالجمر يكـــويني

لـــم أعـــدُ أبـــواب ســـتين، وأحســـبني ... همَّـــاً وقفـــتُ علـــى أبـــواب تســـعين

يـــا صـــاحبيَّ إذا أبصـــرت طيفكمـــا ... يمشـــي إلـــيّ علـــى مهـــلٍ يحيينـــي

أطبقـــتُ جفنًـــا علـــى جفـــنٍ لأبصـــره ... حتـــى كـــأنَّ بريـــق المـــوت يُعشـــيني

إنّـــي شـــممتُ ثـــرًى عفنًـــا يضـــمُّكما ... وفـــي لُهـــاثي منـــه عِطـــر ((دارين))

بنـــوةً وإخـــاءً حلـــفَ ذي ولـــعٍ ... بتربـــةٍ فـــي الغـــد الـــداني تغطينـــي

لقـــد وددتُ وأســـرابُ المنـــى خـــدعٌ ... لو تسلمان وأنّ الموت يطويني

قـــد مـــت ســـبعين موتـــا بعـــد يومكمـــا ... يـــا ذلّ مـــن يشـــتري موتـــا بســـبعين

وهذا اللون من الموت لا يدعو فيه الشاعر إلى حياة جديدة، وإنما يرصد حالة يعيشها هو ومعظم الناس بعد فقدان الأم الحقيقية، فتصبح الحياة بعدها دون طعم، لذلك نجد الجواهري يصور لنا كيف للقبر أن يلف أحبائه، وفراقهم بالنسبة له كالجمر الذي يلفه فهو بسبب همه هذا يحسب عمره كأنما تجاوز التسعين، ويخيل إليه طيفهما (أمه واخوه) فيمشي إليه ويحييه، ويذكر لنا أيضا لو أن الموت تركهما على قيد الحياة ويود لو ان الموت يلفه هو بين احضانه، وقد مات من بعد فراقهما سبعين مرة.

إن هذه اللمحات عن بعض أحزان شاعرنا الجواهري، التي جاء بها إلينا وحتمها الموت اللئيم الموجع الذي

ظل يلاحقه، فأن المنية أنشبت أظافرها، وفوق نيوبها دم أخوته وأقاربه وزوجته، إن هذه الأبيات معبرة بذاتها عما تحمله من أوجاع وآلام عانى منها الجواهري وهو يودع الأحباب والأقربين إلى عالم الغيب.

ويبدو أن التعايش مع فكرة الموت وفلسفتها أخذت تسيطر على الجواهري "لأن الفلسفة هي التي يمكن أن تعلم الإنسان كيف لا يخشى الموت والاحتضار، وإن التفكير المستمر في الموت هو خير وسيلة لقهر الخوف منه، فعلى المرء أن يألف الموت، فليس ثمة شيء مألوف بمقدوره أن يكون مخيفًا..." (جاك، 1984، صفحة 116)

وبسطوة الموت على شعر الجواهري، ظهرت لنا أشكال عدّة للموت وفق منظور الشاعر، وفلسفته التأملية وقناعاته الإيمانية، فقد ظهر الموت في شعره مع ما يتناسب الزمان والمكان والحدث الذي يعيشه الشاعر، مما يشعرنا بأن الجواهري كان يتنفسه، فيخرج من خلال شهيقه وزفيره.

**المراجع**

Ibn Rashiq Al-Qayrawani. (2001). Al-Umda on the merits of poetry and its criticism. (Abdul Hamid Al-Hindawi, editor) Beirut: Modern Library .

Abi Nasr Ismail bin Hammad Al-Jawhari. (2009). Cairo: Dar Al-Hadith.

Al-Zamakhshari. (1996). The Foundation of Rhetoric (Vol. 1). Beirut: Lebanon Library.

Al-Fayrouzabadi. (2005). Ocean dictionary. Beirut, Lebanon: Al-Resala Foundation for Printing, Publishing and Distribution.

Emile Nassif. (1996). The most wonderful things said in lamentation (Volume 1). Beirut: Dar Al-Jeel.

Emile Nassif. (no date). The most wonderful thing said in lamentation. Beirut: Dar Al-Jeel .

Jamal al-Din Muhammad bin Makram Ibn Manzur. (2003). Lisan al-Arab. Beirut: Dar Sader .

Jamal al-Din Muhammad bin Makram Ibn Manzur. (2003). Lisan al-Arab. Beirut: Dar Sader.

Mansor. (1987). Death and spiritual adventure (from myth to the modern spirit world). Damascus: Dar Al-Hikma for Printing and Publishing .

Khayal Muhammad Mahdi Al-Jawahiri. (no date). The jeweler... the journey of a century. Damascus, Syria: Publications of the Syrian Ministry of Culture .

Shoron Jack. (1984). Death in Western thought. (Kamel Youssef, the translators) Kuwait: World of Knowledge Series.

Shawqi is a guest. (1955). Arts of Arabic Literature, Lamentations (Volume 1). Cairo: Dar Al-Maaref .

Abdul-Rahman Badawi. (1962). Death and genius. Cairo: Egyptian Nahda Library .

Omar Farouk Al-Tabbaa. (1996). Arts of Arabic Poetry (Volume 1). Beirut: Dar Al-Qalam .

Anad Ghazwan. (1974). Ghazal elegy in Arabic poetry. Baghdad: Al-Zahraa Press.

Firas Al-Sawah. (1996). The first adventure of the mind (a study in a myth). Damascus, Syria: Dar Aladdin Publications .

Muhammad Al-Taher Ibn Ashour. (1997). Liberation and enlightenment. Tunisia: Dar Sahnoun .

Muhammad Hussein Al-Araji. (2003). Al-Jawahiri study and documents. Damascus: Dar Al-Mada Publishing .

Muhammad Mahdi Al-Jawahiri. (1991). My Memories (Volume 1). Damascus: Dar Al-Rafidain .

Muhammad Mahdi Al-Jawahiri. (2001). The Complete Poetical Works (Volume 2). Baghdad: Dar Al-Hurriya for Printing and Publishing